المحور الرابع تقنيات (اختبارات) الشخصية عند الطفل والمراهق
المحاضرة الثامنة
خصوصية التقنيات(الاختبارات) الاسقاطية عند الطفل والمراهق

الاهداف العامة:

- **التعرف على استخدامات التقنيات الاسقاطية مع الاطفال والمراهقين.**
- **التعرف على اهمية التقنيات الاسقاطية في مجال الطفولة.**
- **التعرف على أهم المقاربات التي تناولت التقنية الرسم (اختبار الورقة والقلم) عند الاطفال والمراهقين.**

الاهداف الادائية المنشودة:

- **التمكن من اليات اختيار الاختبار المناسب مع اكتساب القدرة على اتخاذ القرار.**

تمهيد:

يعتبر تقييم مفهوما السواء واللاسواء في مرحلتي الطفولة والمراهقة على درجة من الغموض كون الانسان خلالهما في حالة تطور مستمر. يتغير سلوكه وفقا لعمليتي النضج الفسيولوجي وتأثير البيئة التي يعيش ويتفاعل فيها. بحيث يمكن لمظاهر السلوك التي يشعر الاولياء والمربين اتجاهها بالعجز ان تشكل عقبات حميدة للنمو؛ في حين ان المظاهر الصامتة بالإمكان ان تحمل مفاجآت صادمة **(Iréne, 2012)** .

مع مرور الوقت اصبح التقييم النفسي للطفل والمراهق مجالا للتدخل قائم ومحدد يتطلب التأطير بهدف الوقوف على عوامل الفهم الضرورية للتدخل النفسي العلاجي الجاد.

في غالب الاحيان يتم التقدم بطلب التقييم النفسي من طرف : العائلة، المدرسة، مؤسسات التكفل، بحيث تتمثل الاشكاليات التي تدفع الى هكذا اجراء في:

- صعوبات سلوكية (عدوانية، هيجان، تثبيط، انسحاب اجتماعي، سلوك خطر).
- صعوبات مدرسية (صعوبات في التفاعل والاندماجمع الاقران...).
- تساؤلات حول التخلف العقلي.
- صعوبات مؤسساتية (صعوبات التعلم، فرط النشاط، مشكلات التركيز)
- صعوبات نفسية-عاطفية(قلق، فوبيا، اضطرابات السيرة الغذائية، النوم...) **(Frédéric, 2020, p. 12)**

مهما كانت طبيعة الطلب فان الفحص النفسي يتطلب تقييم للتوظيف النفسي للطفل. وكقاعدة عامة فان اللجوء الى نوعي الاختبارات أمر لا غنى عنه؛ الاول من النوع المعرفي والسيكومتري بهدف تقييم القدرات الوظيفية؛ ويتمحور الثاني حول الاسقاط الذي يسمح بفهم الطفل في فردانيته وذاتيه **(Frédéric, 2020,P 16).**

1- استخدامات التقنيات الاسقاطية مع الاطفال والمراهقين:

أقرت **(Richelle, 2009)** بامكانية تمرير التقنيات الاسقاطية مع الاطفال بحيث يكفي اختيار التقنية المناسبة، فهي في الاساس جد مفيدة كونها تعطي معلومات غنية. لهذا فكثيرا ما تستخدم في الفحص المرضي للطفل للحصول على التشخيص، لالقاء نظرة على التوظيف النفسي، التوجيه، المتابعة ومعرفة تطور اشكالية الطفل خلال كل هذا.

بالمقابل يرافق استخدام التقنيات مع هذه المراحل العمرية بعض التحفظات التي يمكن ان ترجع الى:

- صعوبات متعلقة بالصدق والثبات ترتبط هي الاخرى بعامل النمو بالاخص في الجانب المعرفي، التفكير التجريدي واللغة. ولهذا السبب ينصح بعدم استخدامها منفردة بل يجب المزاوجة بينها وبين التقنيات الموضوعية (اختبارت الذكاء مثلا).

- ان تأويل نتائج التقنيات الاسقاطية يتماشى مع تاريخ الفرد وعليه يجب ان يكون مختلفا ويأخذ بعين الاعتبار هذا البعد **(Miller & Nickerson, 2006) .**

في ذات السياق يستخدم المختصون الاختبارات الاسقاطية التخطيطة (رسم الرجل، رسم العائلة، رسم الشجرة) لتقييم شخصية الطفل. ويجب ان تشكل هذه الاختبارات جزء من مجموعة أدوات تقييم تهدف الى تاكيد صدق التحليل العام، كما يجب ان يكون هناك تقارب بين مختلف الادوات (تقنيات اسقاطية، ملاحظة عيادية...الخ) بهدف اكتشاف شخصية الطفل**(Denize, 1994)**

2- اهمية التقنيات الموضوعية مع الطفل والمراهق:

تتبدى اهمية التقنيات الاسقاطية في الفحص النفسي للطفل بعد تبني المقاربة العيادية في منهجها المعرفي والبعد العلائقي مع هذا الاخير، مع الاخصائي النفسي والوساطة التي تتيحها مادة الاختبار يصبح التقصي غني بالمعلومات حول التوظيف النفسي ما يسهل الجمع بين الالتقاء مع الطفل ومنحه في ذات الوقت مادة وذريعة للتعبير وفي وضعية مشجعة على الابداع وعمل التفكير من خلال الاداء بكلمات/أو ببناء قصة؛ بتحفيز التوظيف من النوع الانتقالي (على حد تعبير Winnicott) من خلال الموقف الاسقاطي الذي يناشد بشكل خاص قدرة الطفل على اللعب. اللعب هنا يشكل جزء من تبادل لفظي بواسطة مادة تصويرية ملموسة ويتعلق الامر بالاختبارات الموضوعية مثل **CAT** و **PN** و **TAT**

بالمقابل يتطلب الامر من الطفل القيام بعمل تفكير يأخذ بعين الاعتبار الواقع الادراكي والعالم الداخلي عن طريق اعادة تنشيط الصراعات بلغة التمثيلات والعواطف**(Monika, 2015)** .

3- التقنيات (الاختبارات) الاسقاطية وعملية الاختيار:

ان اختيار الاختبار الاسقاطي المناسب للطفل خطوة بالغة الاهمية بحيث يجب ان يؤخذ في عين الاعتبار سن المفحوص ومدى نضجه. فعلى سبيل المثال تبدو الاختبارات المنتظمة والمحددة على المستوى الظاهر (القدم السوداء التي تتضمن صور بحدود واضحة) أكثر مناسبة للاطفال الناضجين. أما بالنسبة للرورشاخ و TAT فيمكن اقتراحها مابين سن 6 الى 8 سنوات. بينما يناسب CAT (يتضمن حيوانات في مشاهد مجسمة) الاطفال الاصغر سنا والاكبر سنا مع نضج عاطفي محدود. ويبقى قرار المختص هو الاساس في هذه العملية **(Georges & Anna, 2018)** .

4- استخدامات الرسم مع الاطفال (اختبار الورقة والقلم):

يسمح الاهتمام برسوم الاطفال بالحصول على نظرة حول الطريقة التي تربط بين الطفل وعالمه الداخلي والخارجي. كما يتيح إسقاط تاريخ نموه البيولوجي، عاداته، غياب أو وجود الروابط الامنة. الصراعات، طريقة الاستجابة للصعوبات والمعاناة التي يواجهها الطفل؛ فتطور الرسم يوازي تطور الشخصية وعمليات النضج النفسي-الفسيولوجي، تمثيل الجسم، الصورة الجسمية، الصور الوالدية، المحيط الاجتماعي-العاطفي. كلها مؤشرات تسمح بتتبع عمليات النضج والمحطات العاطفية مع المحيط.**(Drory, 2018)**

4-1 الرسم كأداة للشخصية:

في محاولة لتقصي تاريخ استخدام الرسم في مجال علم النفس وبالتحديد مع مرحلة الطفولة، أشارت فاليري ديسلوغ **Valérie Desloges (2003)** إلى أن تحديد بعض جوانب التوظيف لدى الطفل باستخدام الرسم يرجع إلى أكثر من قرن تقريبا. ففي سنة 1885 أكد **Ebenezer Cookeen** فعالية الرسم في تحديد مراحل النمو لدى الطفل. وقد سايرت **Goodenough** هذا التوجه بتطوير ما يعرف حاليا برسم الشخص **Drow a person (DAP)** لتحديد العمر العقلي للطفل؛ ليؤكد بعدها بسنوات **Harris 1963** مصداقية هذه الأداة عن طريق وجود علاقة ارتباطية مرتفعة بينها وبين اختبارات الذكاء.

يعتبر الرسم لدى الطفل عن اشياء أخرى على غرار الذكاء او مستوى النمو العقلي، فهو اسقاط لوجوده وللآخرين او بالأحرى للطريقة التي يشعر بها بوجوده وبوجود الاخرين **(Boutonnier, 1953)**، فهو عبارة عن تقنية فعالة تسمح للطفل بالتعبير عن احباطاته، صعوباته بالاضافة الى ما يتمنى الحصول عليه حيث أكد **Miller & al 1987** أن فكرة الرجوع الى التعبير بالرسم تسمح للطفل بالتعبير عن الافكار والمشاعر الاكثر بؤسا. مشاعر وافكار لا يمكن الوصول اليها او تحصيلها عن طريق المقابلة العيادية المباشرة.

وكان يجب انتظار مجيئ **Machover Levy et Hammer** من أجل اعتبار الرسم كأداة اسقاطية للشخصية. حيث قدم **Macgover 1949** مساهمة كبيرة أثرت الاسس النظرية والعيادية للأداة. من جهته **Buck 1948** وضع ما يعرف بـ **H.T.P** مختصر لـ **House. Tree. Person** منزل. شجرة. شخص بالاعتماد على الدراسة التجريبية. وقدم **Koppitz 1968** قائمة مقننة من 30 مؤشر انفعالي يستخدم في تحليل المنتوج الخطي المحصل عليه من هذه الاداة **(Desloges, 2003)** ، ووطور **Meunier** سنة

1973 تقنية اكثر تعقيدا اطلق عليها اسم **MEDTS** أو **Meunier épreuve de dessin à thémes suggéres** اختبار مونييه لرسم مواضيع مقترحة أين يطلب من الطفل انجاز رسم حول مواضيع مختلفة محددة مسبقا بالابيض والاسود وبالالوان **(Tremblay, 2000)**

كما وركز البحث في رسومات الأطفال على ثلاثة مجالات رئيسيه:

أ) البنية الداخلية والواقعية البصرية لتصوير الأطفال (كوكس ، 1985 ، 1992) ؛

ب) العمليات الإدراكية والمعرفية والحركية المستخدمة في انتاج الرسم (فريمان ، 1980) ؛

ج) موثوقية وصحة تفسير الأطفال الرسومات (هامر ، 1997)**(Isabelle & al, 2006)**

2-4 الرسم ومفهوم التطور:

يبدو ان وجهة النظر التطورية **developpmental** تأخذ حظها عند الحديث عن تطور الرسم، وقد جاءت معها فكرة تقسيم هذا النشاط الى مراحل حسب طبيعة المنتوج الخطي الذي ينشأه الطفل. في هذا الشان تذهب **2002 Bedard** الى ذكر التقسيمات التالية:

- مرحلة الخربشة (من 18 شهر الى سنتين) يكون التركيز خلالها منصبا على تطور التناسق الحركي الذي لا يبدو منتظما خلال هذه المرحلة **(Bedard, 2002)** . يبدا الطفل في انتاج الخطوط في ذات الوقت الذي يسجل فيه العديد من المكتسبات التي تعكس نموه: النظافة، المشي، النطق وتطور اللغة؛ بالنسبة لـ **Piaget** ان ظهور التمثيلة **La representation** في التطور الفردي لا يرجع الى تطور اللغة وحدها وانما الى وظيفة سميائية أوسع بكثير. حيث يشمل ذلك اللعب الرمزي، الصور العقلية، الرسم وكل أشكال التقليد المختلفة والمستدخلة. وهو ما اطلق عليه مفهوم العبور بين الوظائف الحسحركية والتمثيلة **(Bernard, 2015, pp 12-131)**، بالاضافة الى ذلك فان الخربشة Le griboulliage تفتقر الى القصد التمثيلي. حيث يمزج الطفل بين المتعة والنشاط الحركي (بين الحركة والاثر الذي يتركه القلم على الورقة)

- من سنتين الى ثلاث سنوات بداية التشكيل عن طريق التكرار يصل الطفل الى التحكم الجيد في الاداة الامر الذي يعكس تناسق حسحركي اكثر تطورا، يدرك العلاقة بين الحركات والرسم نوعا ما. في نهاية المرحلة السابقة والدخول في هذه المرحلة يعتبر الرسم وسيلة للحركة.

- بين 3 الى 4 سنوات مرحلة التعبير باستخدام الرسم تختفي الخربشة تدريجيا لتترك المكان لرسوم اكثر تشكيلا وتعبيرا وهو ما يعكس نمو حسحركي اكثر تطورا يرتبط بالنمو العقلي والقدرة على التمثيل.

- 4 الى 5 سنوات يستطيع الطفل اختيار الالوان التي تتناسب مع الواقع. يتزاوج تطور الرسم في هذه المرحلة مع ظهور الرغبة في الكتابة والاستماع الى القصص. **(Bedard, 2002)**

بالاضافة الى ما سبق فان تطور رسوم الاطفال حسب المراحل العمرية يتضمن نوعين أساسيين وهما: **الرسوم الهندسية والرسوم التشكيلية**. يتمثل النوع الاول في محاولة الطفل اعادة رسم اشكال هندسية اساسية (الدائرة تظهر في سن 3 سنوات، المربع في سن 4، بينما المعين في سن 7 سنوات)، أو

صور معقدة تتضمن تداخل العديد من الاشكال (الشكل المعقد لصورة راي). بينما يمكن أن يرجع محتوى الرسم التشكيلي او التصويري الى موضوع واحد او عدة مواضيع (رسم الرجل-الشجرة_العائلة) يتميز بكونه سند لعملية الاسقاط للعوامل الكامنة في الشخصية وكل تفصيل من المفروض ان يكون حاملا لاثر الحالة الانفعالية للطفل**(Plcard & Baldy, 2011)**

3-4 الرسم والمقاربات النفسية:

مع تطور وتوسع استخدام الرسم في الممارسة العيادية والبحوث النفسية وتزامن ذلك مع تطور النظريات التي يستند اليها تحليل وتأويل المنتوج التخطيطي بات من الضروري الوقوف على اهم المقاربات التي تتخذ من الرسم وسيلة لبلوغ اهدافها. لهذا السبب يمكن الاشارة الى ان أهم هذه المقاربات والتي تتمثل في:

1) **مقاربة سيكومترية**: حيث يستعان بالمنتوج التخطيطي في عملية القياس النفسي، بمعنى تحديد وقياس بعض السمات او الخصائص. تستند هذه المقاربة على التوجهات النظرية التطورية او النمائية **(Wallon, Luquet)**؛ الابستمولوجية التي تدور حول وصف الحياة العقلية عن طريق تمثيل الفضاء **(Piaget)**؛ الجشطالتية ومفهوم الادراك البصري **(Kellogg)**؛ الحسحركية ومراحل النمو الحسحركي عن طريق التقليد والتحكم؛ والمقاربة المعرفية عن طريق التطرق لمفهوم المخططات المعرفية. ويمكن ان تشترك كل التوجهات السابقة في كونها تتناول الرسم في:

- **قياس الذكاء**: في اختبار رسم الرجل لـ **Goodenough** حيث يستخدم في تقدير معامل الذكاء، وكذلك اختبار صورة راي **Figure de Rey** مع الاخذ بعين الاعتبار لكل من ملكة اعادة انتاج الصورة، التوجه في الفضاء، سرعة الانجاز، الذاكرة. وبالرغم من الانتقادات الموجه لهذه المقاربة الا انها استطاعت وبالاستعانة بالعديد من البحوث النفسية حول مفهوم المعيارية ان تثبت فعاليتها في مجال الممارسة وبالتحديد في القياس النفسي.
- **لما له من قيمة تشخيصية**: عن طريق التوجهات النظرية المعتمدة في تأويل المنتوج الخطي بالاخص النمائية والابستمولوجيه منها. يمكن الحديث عن استخدام الرسم كاداة داعمة في عملية التشخيص والوقوف على ابعاد السواء واللاسواء.

2) **مقاربة اسقاطية**: الرسم باعتباره انعكاس للشخصية**(Frank, Anzieu)**. يحمل تعبيرات انفعالية وتمثيلات عقلية عن الواقع الخارجي والحقيقي للطفل سواء أكان ايجابي ام سلبي، فهو يشكل اداة للتعبير عن الشخصية ومكنوناتها العميقة التي لا يمكن بلوغها كما سبق القول عن طريق ادوات أخرى.

كما يتميز حسب **Royer 1984** بالعديد من المزايا منها انه يستغرق القليل من الوقت، بعض الادوات المتوفرة (القلم، الورقة والالوان)، يطبق فرديا أو جماعيا، ليس هناك اي تأثير لعامل اللغة حيث تقدم التعليمة بلغة المفحوص.

يعتمد على التوجه التحليلي ويرى **Mummings 1986** ان استخدام الاختبارات الاسقاطية التخطيطية (بمعنى التي تعتمد على الرسم) يسمح بتقديم فهم أفضل حول الصراعات الداخلية والمخاوف وتصورات الاخرين والذات. ومن الامثلة التي تنظوي ضمن هذه المقاربة نجد رسم العائلة، الرسم ذو الموضوع المقترح، رسم الشجرة وغيرها.

- **مصطلحات عربي/فرنسي/انجليزي**

عربي	فرنسي	انجليزي
التخطيط	***Graphique***	***Graphic***
مدرك غامض وغير مشكل	***un percept flou, des « formes informes***	***fuzzy perception,***
مشاهد مجسمة	***des scènes anthropomorphiques***	***Anthropomorphic scenes***
مرحلة الخربشة	***Phase de griboulliage***	***Scribble phase***
مرحلة التعبير	***Phase d'expression***	***Expression phase***
رسم هندسي	***Dessin géométrique***	***Geometric drawing***
رسم تصويري (تشكيلي)	***Dessin figuratif***	***Figurative drawing***
القيمة التشخيصية	***Valeur diagnostique***	***Diagnostic value***
المقاربة الاسقاطية/السيكومترية	***L'approche projective /psychométrique***	***The projective/psychometric approach***

- **قراءات ينصح بها:**

- Masoumeh, Farokhi ; Masoud, Hashemi. The Analysis of Children's Drawings: Social, Emotional, Physical, and Psychological aspects. *Procedia - Social and Behavioral Sciences*, 30 (2011) 2219 – 2224

- Paul Alerini . Le dessin d'enfant, enjeu transférentiel. Érès : *Essaim*, 2015,1 n° 34 , 7 – 22.

- Bernard Jumel. (2015). *Dessin d'enfant en 20 études*. Paris : DUNOD, 2ed.

أ. **بومعزة فتيحة**